شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمدٍ وعلى آله وصحابته والتابعين، اللهم يا مُعلم إبراهيم علمنا، ويا مُفهم سُليمان فهمنا، اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل، وأن تجعل عملنا خالصًا لوجهك الكريم، إنك سميعٌ قريبٌ مُجيب.

أمَّا بعد ...

في اللقاء الماضي أصلنا لاعتبار أهل السنة والجماعة وفق ما ذكر شيخُ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- وذكرنا أن مُعتقد أهل السُنة في باب الأسماء والصفات هو إيمانهم بأن لله -سبحانه وتعالى- أسماءً سمى بها نفسه أو ثبت لنا من طريق السُنة تسميته بهذه الأسماء.

كذلك في باب الصفات أن الله -سبحانه وتعالى- موصوفٌ بصفاتٌ وصف بها نفسه، أو ثبت بها النص عن رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-، فأهل السنة متى ما صح لهم النقل كتاب وسُنة؛ فإنهم يُثبتون ما أثبته الوحي قرآنًا وسنة من الأسماء والصفات، دون أن يتطرقوا لهذا الإثبات بشيءٍ من التعطيل أو التحريف، أو التمثيل أو التشبيه، وقاعدتهم في كل ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، ف ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، نفيٌ للتأكيد.

ومر بعد ذلك طريقة أهل السنة في النفي والإثبات، وأن باب الصفات جامعٌ بين النفي والإثبات، ومر معنا كذلك مصادر التلقي، ثم بعد ذلك سرد شيخُ الإسلام جُملةً من الآيات لن نقف عندها، لكن سنمر عليها مرورًا؛ حتى تكون هذه الآيات التي ذكرها شيخُ الإسلام بمثابة أدلةٍ قرآنية، ثم بعد ذلك سرد أيضًا مجموعةً من الأحاديث هي بمثابة أدلة من القرآن والسُنة إلى ما ذكره، أو إلى ما ذهب إليه في مُعتقد أهل السُنة والجماعة سنمرُ عليها.

طبعًا مررنا على سورة الإخلاص، وهذه السورة فيها أحدية الله -سبحانه وتعالى-، وإثباتُ صمديته -جل وعلا-، وفيها نفي الوالدية والولد، يعني: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣]، -سبحانه وتعالى-، فليس له أبٌ ينتسب إليه، وليس له ابن نتج عنه،﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، أي ليس له مثيلٌ ولا شبيهٌ ولا مكافيء.

كذلك ذكر شيخُ الإسلام بعدها آية الكرسي، وعظمة هذه الآية، طبعًا قبل ذلك قال قبلها -رحمه الله-: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتابِهِ) حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥])، فآية الكرسي فيها مجموعة صفات، هذه الصفات هي:

- إثبات الألوهية لله -سبحانه وتعالى-.

- إثبات الحياة.
- إثبات القيومية.
- نفيُ السنة والنوم عنه -سبحانه وتعالى-.
- إثبات الملك: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٥٥].
- أيضًا من الصفات التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في الآية السعة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فإذا كان كرسيه بهذه السعة، فهو أوسع -سبحانه وتعالى- وأعظم
- كذلك القدرة.

إذًا هذه مجموعة من الصفات التي اشتملت عليها آية الكرسي، وحتى اربط المواضيع سأقول لكم، أو أعيد عليكم بأننا الآن بصدد سرد الآيات التي ذكرها شيخُ الإسلام، والتي تدل على إثبات الصفة﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]، نفى عنه السِنة والنوم ليدلل على كمال حياته وقيوميته، فأهل السُنة إذًا يثبتون لله الحياة، ويثبتون لله القيومية، ويثبتون لله القوة، ويثبتون لله الملك دون أن يتعرضوا لشيءٍ من ذلك بالتأويل أو بالتعطيل.

ثم ساق قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨])، ما الصفات التي اشتمل عليها هذا النص؟ صفات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، صفة الحياة –استغفر الله، الموت؟ لا، الموت الله -سبحانه وتعالى- مُنزه لأن حياته حياةً كاملة، إذًا:

- أثبت هذا النص لله -سبحانه وتعالى- الحياة.
- ونفى عنه الموت.
- وأثبت له الحياة في كمالها ونفى عنه الموت، ونحن في الصفات السلبية أو في الصفات المنفية نُثبت له -سبحانه وتعالى- كمال الضد.

ثم ساق -رحمه الله تعالى- بعد هذه الآية قوله تعالى: (﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣])، هذا النص فيه عدة صفات لله -سبحانه وتعالى- لكن يجمعُها شيءٌ واحد، فما الشيء الذي يجمع الأولية والآخرية والظهور والباطن، المعنى في شيء واحد؟ وهو صحيح العلم، لكن هناك إجابة كمال العلم أيضًا إجابة جيدة، لكن هناك أجود؟ ليست القدرة وإنما؟ يعني في قوله: (﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣])، هذه الصفات مُجتمعة تدل على صفةٍ جامعة لله -سبحانه وتعالى-: وهي صفة الإحاطة.

تأملوا قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[الحديد: ٣])، هذا لبيان إحاطته الزمانية، من الأزل وإلى الأبد، جمع بين الأزل وبين الأمد، وفي قوله: (﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣])، هنا إحاطة مكانية فالله -سبحانه وتعالى- إذًا جمع بين الإحاطة الزمانية، وبين الإحاطة المكانية ﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣]).

ولذلك قال الله -سبحانه وتعالى- بعدها، قال: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[الحديد: ٣])يعني كأنه لما فصل هذه الإحاطة ختمها بقوله: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[الحديد: ٣])، إذًا فالنص فيه إثباتًا للأولية والآخرية، وإثبات الظاهر لله -سبحانه وتعالى-، وهو الباطن، وكما ذكرت لكم ف﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[الحديد: ٣]: للإحاطة الزمانية، و(﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣]) للإحاطة المكانية.

وأفضل ما يقال في تفسير: (﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣])، هو ما ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث: «**الأول الذي ليس قبله شيء**»، هذا تفصيل الأول، «**والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء**»؛ وهذا يدل على العلو والعظمة والفوقية أيضًا، والباطن يدُل على القُرب وأيضًا فيه معنى المعية.

ثم ختم الله النص بقوله: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [الحديد: ٣])، فكما ذكر تفاصيل العلم بجزئيات الزمان والمكان ختمنا ذلك بأنه لا يعزُب عنه شيء؛ فهو عليمٌ بكل شيء حتى يدل على عموم علمه -سبحانه وتعالى-.

ثم قال أو أورد قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢])، هذا النص فيه إثبات صفة العلم، وصفة الحكمة، والعلمُ هو الإحاطة بالمعلومات، والحكمة وضع الشيء في موضعه، وأيضًا الحكمة يُمكن أن تكون من الإحكام وفيها الإتقان.

وذكر المؤلف أيضًا قوله تعالى وهو (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ٢])، ليدل على العلم والحكمة.

وذكر قوله تعالى: ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣]، العلم شيء والخبرة شيء فما الفرق بين العلم والخبرة؟ الخبرة أوسع من العلم وأعمق لكن ما معناها؟ العلم: في الظاهر هو العلم، والعلم بالباطن هو الخبرة، فالخبرة أدق وأعمق مثل ما تفضلت الأخت، والعلم أشمل، وكلاهما موصوفٌ به ربُنا -سبحانه وتعالى-، وهو عليمٌ -جل جلاله- وهو خبيرٌ -سبحانه وتعالى-.

إذًا مذهب أهل السُنة: إثبات ما أثبت الله لنفسه، فلما أثبت لنفسه العلم؛ فإننا نُثبت له صفة العلم وهي صفةٌ ذاتية لا تنفك عن الله -سبحانه وتعالى-؛ فهو كان عليمًا، ولا يزال عليمًا، وهو عليم -جل جلاله- لا ينفك عنه العلم ما يعذب عنه شيء، ولا يغيب عن علمه شيء، ولذلك دلل في القرآن على علمه كثيرًا:

- منها ما ذكره المؤلف بعد ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾[سبأ: ٢]) كل ما يدخل في الأرض سواءً من الماء الذي يتسربُ في مسامها، أو ما يُدل إلى الأرض من الأموات في قبورهم يعلمه -جل وعلا-.

- ويعلم ما يخرج منها ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾[سبأ: ٢]) يخرجُ منها نبات، والمعادن، يعلم ما ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾[سبأ: ٢]) من أوامره -جل وعلا-، ومن المطر، ومن الملائكة التي تنزل، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: ٢])، من الأعمال الصالحة، ومن الملائكة التي تعرج بأعمال العباد.

- وما يصعد إلى السماء حتى في يومنا هذا من الطائرات والصواريخ وغيره.

فلما أثبت في النص الأول في قوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ٢]،﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣]، هذا إثبات عام، ثم فصل هنا؛ لأن الإثبات قد يأتي مفصلًا أيضًا، فقال: (﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: ٢])، إذًا النص الذي ذكره هنا المؤلف لإثبات صفة العلم لله –سبحانه وتعالى–، وهي من الصفات الذاتية مُلازمة لذاته –سبحانه وتعالى–.

وأورد بعد ذلك المؤلف قول الحق –سبحانه وتعالى–: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩])، والنص ذكره لإثبات صفة العلم، لكن ما معنى مفاتح الغيب؟

مفاتح الغيب هذه: هي خزائن الغيب، أو أسباب الغيب، أو معاقد الغيب، وأفضل تفسير للقرآن هو تفسيره بالقرآن أو تفسيره بالسُّنة.

والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قد فسر مفاتح الغيب وقال: «مفاتيح الغيبُ خمسٌ لا يعلمهن إلا الله»، فيما أخرج البُخاري، ثم تلا النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]».

وهنا أيضًا ينبغي أن نتنبه للتزييل الذي تُزيل به الآيات من الوصف النهائي؛ فبعد أن ذكر تفاصيل علمه –سبحانه وتعالى– التي هي مفاتيحُ الغيب في هذه الخمس الذي اختص الله بها، ختم ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]، فالنصُ كله لإثبات صفة العلم لله تعالى.

هل أهل السنة يثبتون لله العلم؟ نعم، ويعتقدون أن العلم من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله –سبحانه وتعالى–، لكن يُخالفهم من المتكلمين يقولون: "إن العلم الموصوف به الله هو عدم الجهل، هم ما يثبتون لله –سبحانه وتعالى– العلم، المعتزلة يقولون: العلم هو عدم الجهل، أما أهل السُنة فيُثبتون لله –سبحانه وتعالى– العلم؛ لأن الله أثبته لنفسه، ولأن نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أثبت هذه الصفة له، فيُثبت ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

ولسنا بحاجة لمناقشة هؤلاء النفاة الذين ينفون عن الله صفة العلم، وإلا فمن أبسط ما يمكن أن يُناقشوا به بعيدًا عن النصوص، يعني مناقشة عقلية: أن يُقال لهم –هذا ذكره شيخنا ابن عُثيمين –رحمه الله–قال: **"من المخلوقات من هو متصفٌ بصفة العلم، فإذا كان العلم صفة كمال أفلا يكون الخالق أولى بهذه الصفة من المخلوق، هل يُمكن أن يخلق الله –سبحانه وتعالى– خلقًا فيهم هذه الصفة الجميلة الجليلة ويكون هو خلوٌ عنها، هذا من أبطل الباطل؛ ولذلك فساد أقوال المُتكلمين في نفي الصفات عن الله يُغني عن إفسادها"**، إذًا النص ذكره الإمام –رحمه الله تعالى– ابن تيميه لإثبات صفة العلم التي يُثبتها أهل العلم كما الله اثبتها لنفسه.

كما ورد نصًا آخر أيضًا لإثبات صفة العلم ؛ وثالث ؛ النص: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فصلت: ٤٧]، وبعده ذكر قوله تعالى:(وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢])، والنصان في إثبات صفة العلم، فقد أثبت علمه -سبحانه وتعالى- بما تحمل الأرحام، و وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فصلت: ٤٧]).

والعلم نوعان ؛ حتى لو أحد أننا باستطاعتنا اليوم عبر الألتراساوند مثلًا أن نعرف ما تحملُ الأنثى إن كان ذكرًا أو أنثى أو كان واحدًا، أو كان توأم . فنقول: لا مضادة بين ذلك؛ لأن من العلم ما هو علم نسبي؛ هذا يعلمه بعض ويخفى على بعض.

وذكرت لكم في غير هذا الموطن أن من يُتابع مثلًا ما يجري في الولايات المتحدة عبر قنوات الأخبار في بثٍ مُباشر عنده علم بهذا الجزء من الغيب؛ بالوسائل التي أتاحها الله له، لكنه هل يعلم ما يجري خارج الشاشات والكاميرا؟ أبدًا، هذا غيب نسبي يخفى على البعض، ويعلمهُ البعض.

الذين مثلًا قرأوا صحيح البُخاري عندهم علم بأحاديثه، والذين لم يقرأوا ليس عندهم علم، فبالتالي هذا علم نسبي، لكن العلم الذي يوصف الله -سبحانه وتعالى- به علمٌ كامل شامل، مُحيط، يعلم ما كان، ويعلم ما يكون، وما هو كائن، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وهذا الذي يتميز به علمُ الله -سبحانه وتعالى-

تقول الأخت: هل العلم الذي علمه الله سبحانه لآدم هل هو علمٌ كامل؟

لا ليس هناك أحد من البشر عنده علم كامل، وإنما يعلمُ شيئًا ويغيب عنه شيء، ولذلك موسى على جلالة قدره، وعلو كعبه وهو نبي وكليمُ الله -سبحانه وتعالى-؛ خفي عليه بعضُ العلم الذي علمه الله -سبحانه وتعالى- عبده الصالح، ولم يستنكف موسى لأن يكون ملازمًا لهذا العبد رجاء أن ينال منه العلم الذي ليس عنده، قال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[الكهف٦٨:٦٧]، فما كان يعرفه العبد الصالح أو الخضر لم يكن يعرفه موسى.

وحتى نبينا -عليه الصلاة والسلام- لما جاءه القوم يسألونه عن تأبيل النخل قال لهم قولًا -عليه الصلاة والسلام- ولم يكن من أهل الزرع، ففسد نخلهم، ثم عاد عليهم فقال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

وكذلك لما استشاره الصحابة في بدر فقال له الحُباب: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ» .. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ»، وتحول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بناءً على هذه المشورة إلى ناحية الآبار فغوَّرها يعني دفنها، واستبقى ماءً يستقون منه، ولا يستقي الكُفار، وكان ما أشار به الصحابي هو نعم الرأي.

فلا آدم عنده العلمُ الكامل ولا النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولا أحد من البشر؛ بدليل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في باب الأسماء والصفات وهو من أخص أبواب العقيدة بيَّن لنا أنه لم يكن على إحاطةٍ بأسماء الله تعالى

كُلها؛ لذلك يَفتح عليه في سجدة العرش من المحامد والمثاني التي يُثني بها على ربنا -جل وعلا- ما لم يكن يعلمه قبل ذلك.

إذًا النص الذي أورده الإمام في (وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فصلت: ٤٧])، يدل على صفة العلم وإثباتها لله -سبحانه وتعالى-، وقوله تعالى: (﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢])، يدلُ أيضًا على أن الله مُتصفٌ بالعلم، ويدُل أيضًا على أن الله مُتصفٌ بالقدرة، يعني النص لم يورده الإمام ليُبين القدرة في هذا الموطن؛ وإنما أورده ليُبين اتصاف الله -سبحانه وتعالى- بصفة العلم.

قلت لكم: حتى نربط أيضًا أطراف الموضوع: ما يذكره الإمام هنا إنما هو أدلةٌ قرآنية لما ذكره مجملًا سابقًا من إثبات ما أثبته الله -سبحانه وتعالى- لنفسه، لما قعَّد القاعدة وقال: إن يعني منهج أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات؛ أخذ يُعدد لنا ما أثبته الله كآحاد الصفات: صفة العلم، صفة الخبرة، صفة القُدرة...إلى آخره؛ واسترسل وذكر نصوصًا كثيرة ها نحن أولائي نمُر عليها ونُعرج عليها.

قال بعد ذلك: وقوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨])، انتهينا من صفة العلم والأدلة عليها، هذا النص يدُل على أي صفة يدل على إثبات أي صفة؟ في قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨])، لإثبات اسم الرزاق لله -سبحانه وتعالى-، وهي على وزن (فعَّال) يعني كثير الرزق -جل وعلا-؛ لأنه يرزق عباده رزقًا وفيرًا -جل وعلا-، وأيضًا إثبات صفة القوة لله -سبحانه وتعالى-، فهو رزاق، وهو قويٌ متين -جل وعلا-.

وما معنى المتين؟ المتين: هو الشديد من المتانة، وتفسيره بالشديد مأخوذٌ عن ابن عباس -رضي الله عنه وأرضاه-، وعليه فإننا نُثبتُ صفة الرزاق أو اسم الرزاق لله -سبحانه وتعالى-، ونُثبتُ له اسم المتين -جل وعلا-، ونُثبتُ له صفة القوة -جل جلاله-.

وذكر بعد ذلك قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١])، أثبت هنا في هذا النص لله -سبحانه وتعالى- صفتي السمع والبصر، والسمع: هو الإحاطة بالمسموعات، والبصر: الإحاطة بالمبصرات، فربنا -سبحانه وتعالى- سميعٌ بصير، والسمعُ والبصر من أدوات العلم، فالله -سبحانه وتعالى- سميع سمعًا يليق به -جل وعلا-؛ ليس كسمع أحدٍ من البشر، وبصير بصرًا يليقُ به -سبحانه وتعالى-؛ فهو مُدرِكٌ لجميع المرئيات.

هل اتفق معنا المخالفون في إثبات السمع والبصر لله وتعالى؟ هل يتفقون معنا، هل يُثبتون صفتي السمع والبصر له -جل جلاله-؟ لا، يُخالفون فلا يُثبتون لله -سبحانه وتعالى- لا سمعًا ولا بصرًا، وإنما يجنحون إلى التأويل، فيقولون:

- إن السمع معناه العلم بالمسموعات.
- والبصر معناه العلم بالمبصرات.

وهذا كلام فاسد؛ بل فيه نقص من حيث أرادوا أن يُنزهوا الله -سبحانه وتعالى-، وقعوا في انتقاصه؛ لذلك نقول لهم:﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[البقرة:١٤٠]، هل أنتم أعلم، بالله؟ إذا كان قد أثبت لنفسه السمع والبصر فلماذا لا تثبتون ما أثبته الله لنفسه؟ قالوا: حتى لا نُشبه الله بخلقه؛ لذلك ذكرنا سابقًا: أن كل من وقع في التأويل إنما وقع في التأويل بعد أن وقع في مُنكرٍ أعظم، وهو اعتقاد التشبيه.

لماذا أوَّلوا؟ فرارًا من التشبيه، إذًا حصل في أذهانهم تشبيه أولًا، ثم وقعوا في التأويل ثانيًا، أو بعضهم يقع في التعطيل.

الأشاعرة يقولون: إن سمعه معناه العلم المسموع، بصره: العلم بالمبصرات، لماذا ذهبتم إلى ذلك؟ قالوا: حتى لا نُشبه الله بخلقه؛ فرد عليهم أهل السُنة فقالوا: حتى الأعمى والأصم يعلم بوجود الأصوات، ولا يسمعها؛ فالعلم بالمبصرات والعلم بالمسموعات ليس إدراكًا للمبصرات والمسموعات، إنما مُجرد علم

الأخت تسأل هل لله يد؟ وهل لله عين؟ سيمُر معنا، هذا في النصوص التي ذكرها ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-.

بعد ذلك أورد قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨])، كذلك هذا النص أراد به أن يُثبت صفتي السمع والبصر لله تعالى.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[الكهف: ٣٩])، ماذا يريد أن يُثبت هنا؟ هذا النص لإثبات ماذا؟ لإثبات المشيئة، إذًا لله -سبحانه وتعالى- مشيئة، ولله -سبحانه وتعالى- إرادة؛ أورد لإثبات هذه الصفة: (﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ﴾[الكهف: ٣٩])، وأورد قوله تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣])، وهذا النص أثبت المشيئة وأثبت الإرادة.

ومن الأدلة قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١])، أين الشاهد آية المائدة أين الشاهد فيها؟ آخر النص: (﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١])، فأثبت لله -سبحانه وتعالى- إرادة.

ومن النصوص الدالة على إرادته ومشيئته قوله تعالى: **وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾**[الأنعام: ١٢٥])، هل خالفنا أحد في إثبات المشيئة والإرادة لله –سبحانه وتعالى–؟

نعم، أهل التأويل والتعطيل خالفوا، فالمعتزلة مثلًا: نفوا عن الله –سبحانه وتعالى– صفة الإرادة؛ لا يثبتون لله صفة الإرادة، وبعضهم يذهب مذهبًا فلسفيًا عميقًا فيقولون: هناك إرادة واحدة لكنها قديمة، هذه الإرادة قديمة في الأزل، فكُل المرادات حصلت لهذه الإرادة القديمة؛ كأنهم ينفون تجدد هذه الإرادة، ونحن معاشر أهل السُنة نُثبت أن لله تعالى إرادة وإرادته كاملة، وهي من حيث التقسيم العلمي تنقسم إلى نوعين:

- إرادة كونية.
- وإرادة شرعية.

نعم الأشاعرة يُخالفون بالنسبة للأخت التي تسأل، الأشاعرة يُثبتون إرادة واحدة قديمة، فقديمة في الأزل، كلام فلسفي: يعني عند التحقيق ليس له ثمرة، وإنما هو إغراق في الإمعان؛ ذلك طريقة أهل السُنة الاعتماد عل النصوص؛ ولذلك لا تجد في كلام شيخ الإسلام، ولا في كلام السلف –رحمهم الله تعالى– مثل هذه العبارات التي فيها تقعر، مثلًا: **حين يقول: إرادة قديمة** تعلقت في الأزل بكل المرادات، هذا كلام يعني مُغرق.

الوضوح الذي في مذهب أهل السنة: هو أن الله أثبت لنفسه إرادة نُثبتها لنفسه كما أثبتها لنفسه، وإرادته شاملة وكاملة فهو مُتصف بأنه مُريد يعني صفة ذاتية، ومُتصف بأنه تقع منه الأشياء متى ما أرادها، إذا أراد هداية شخص هداه، وإذا أراد أن يُضل شخصًا أضله –جل وعلا–، فما يقع في الكون من الحوادث إنما هو واقعٌ بإرادته –جل جلاله–.

ثم من باب التقسيم العلمي والتقريب للفهم يقول أهل السُنة: إرادة الله إما كونية، وإما شرعية.

- **أما الإرادة الكونية:** فهي مشيئته –سبحانه وتعالى– في الأشياء التي شاءها وخلقها، فالله –عز وجل– لا يقع في مُلكه إلا ما يكون مُتصفٌ فيه، خلق الإيمان، وخلق الكُفر –جل وعلا–، خلق الجنة وخلق النار –سبحانه وتعالى–؛ وعليه فإن الإرادة الكونية ليس بالضرورة أن يقع منها كل ما يُحب الله.

الله لا يُحب الكُفر ومع ذلك هو الذي خلقه؛ لأننا لو نسبنا الكُفر إلى غير الله لأثبتنا للكون خالقين اثنين.

الله –سبحانه وتعالى– خلق الشر، وخلق الخير، هل يُمكن أن نقول: إن خالق الخير هو الله، والشر خالقٌ آخر؟ سنكون أثبتنا في الكون خالقين اثنين، لكن الفرق: أن الإرادة الكونية تشتمل على أشياء يُحبها الله، وأشياء لا يُحبها الله، خلق المؤمن والكافر، خلق الجان والملك؛ هذه إرادة كونية لحكمةٍ اقتضاها الله –سبحانه وتعالى–.

- **والإرادة الثانية: هي الإرادة الشرعية**، وهذه لا تكون إلا لمحابِّ الله –سبحانه وتعالى–، والمقصود بالإرادة الشرعية: هي أوامره –سبحانه وتعالى–.

من الإرادة الشرعية مثلًا طلبه منا أن نؤمن، وهذه الإرادة قد تقع، وقد لا تقع، تقع بالنسبة للممتثلين، ولا تقع بالنسبة للذين لم يمتثلوا، وعدم وقوعها لا يعني أنه حصل ما لم يرده الله –سبحانه وتعالى–؛ لأن ما في شيء وهو حصل رغمًا عن الله تعالى الله وجل الله.

ولكن الله حين خلق البشر هداهم النجدين وبين لهم الطريقين، فمنهم مؤمن ومنهم كافر؛ فهو حين يريد إرادةً شرعية لا يُجبر عليها أحد وإنما يترك الخيار للمتلقي:

– أمر الله في الإرادة الشرعية بالصلاة، من الناس من صلى ومنهم من خلا.

– أمر الله –سبحانه وتعالى– بالكف عن الفواحش وعن الربا: منهم من امتثل، ومنهم من عصى، **الشاهد**: أننا نُثبتُ لله –سبحانه وتعالى– الإرادة والمشيئة.

ثم ذكر قوله تعالى: (**وَقَوْلُهُ**: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء**﴾ [الأنعام: ١٢٥])، وهذا النص أيضًا في قوله: (**وَقَوْلُهُ**: ﴿**يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ**﴾[الأنعام: ١٢٥]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿**وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ**﴾[الأنعام: ١٢٥])فيه إثبات للإرادة.

ثم ذكر بعد ذلك أمرًا آخر وهو صفة المحبة لله –عز وجل–، فأورد نصوصًا منها قول الله تعالى: (**وَقَوْلُهُ**: ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة: ١٩٥]، ﴿**وَأَقْسِطُوا إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الحجرات: ٩]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[البقرة: ٢٢٢]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[آل عمران: ٣١]، **وَقَوْلُهُ**:﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٤]).

ما جمع هذه الآيات؟ لإثبات صفة المحبة، وهي من صفات الفعل الاختيارية، يعني يفعلها الله –سبحانه وتعالى– باختياره، هل الله يحب؟ هل الله –سبحانه وتعالى– موصوف بأنه يُحب؟ نعم، يُحب –سبحانه وتعالى– محبة تليقُ بجلاله؛ لما نُثبت لله الصفات ينبغي أن ينزاح عن أذهاننا أن الاشتراك اللفظي لا يعني الاشتراك في المعنى، هذا الذي أوقع أهل الباطل في التأويل والتعطيل.

يعني لما نقول: إن الله يُحب؛ لا يقتضي أنه يُحاط بي الذين يُحبهم فيعني يتركهم في غيهم كما يفعلُ البشر، أو حينما نُحب نحن معاشر البشر مثلًا قد نحيد وقد لا نعدل، وقد يستلزم من محبتنا الميل؛ هذه اللوازم، لا تلزم المولى –سبحانه وتعالى–، يعني حين نُثبت له ما أثبته لنفسه من المحبة فإننا نُثبت له صفةً تليقُ بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل.

هل خالفنا أهل الباطل في هذه الصفة؟ نعم خالفنا، الأشاعرة والمعتزلة ينفون صفة المحبة، لماذا أيها الأشاعرة؟ لماذا أيها المتكلمون؟ لماذا أيها الفلاسفة لماذا تنفون عن الله -سبحانه وتعالى- صفة المحبة؟ لما ذكرت لكم آنفًا، وقع في أذهانهم التشبيه؛ فأرادوا الفرار من التشبيه إما بالتعطيل (نفي الصفة تمامًا) وإما بالتأويل، يعني قالوا: لو أثبتنا صفة المحبة؛ للزم منها الانكسار، لزم منها الميل، لزم منها اللذة؛ هذه لوازم يعني تصلح في حق البشر، لكن ليست بالضرورة أن هذه اللوازم تلزمُ رب البشر -سبحانه وتعالى-.

فنفوا صفة المحبة، وآخرون قالوا: لا، بما أنه الله أثبت صفة المحبة نُثبتها، يعني لا مجال لأن ننفيها، فكيف نخرج من مأذق التشبيه الذي طرأ على أذهانهم؟ قالوا: نثبت هذه المحبة بطريقٍ أخرى كيف؟ قالوا: محبة الله معناها: إرادة الإكرام، إرادة الإنعام، كما سيأتي معنا في إثبات الغضب؛ لا يُثبتون لله الغضب وإنما يقولون: إرادة الانتقام؛ وكل هذا باطل.

بل نُثبت بلا تأويل فنقول: الله يُحب ويُحَب -سبحانه وتعالى-: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤]، حين أثبت المحبة لهم وأثبت له المحبة؛ فهذا لا يعني أن محبتهم إياه كمحبته إياهم، العبد يحب ربه، والرب يُحب عبده لكن واحد في صفة الحُب ما يليقُ به؛ فحبُ العبد ليس كحب الرب؛ بينهم بونٌ شاسع، كما أن سمع العبد ليس كسمع الرب، ولا بصرُ العبد كبصر الرب -جل وعلا-.

إذًا لما قال الأشاعرة: إن المحبة معناها إرادة الإنعام؛ فهذا راجعٌ لأصلهم الذي سبق، وأصلهم الذي سبق هو أنهم لا يُثبتون لله إلا سبع صفاتٍ، فكل ما يريدون تأويله من الصفات أرجعوه إلى هذه السبع؛ فالحب عندهم إرادة الإنعام، البغض: إرادة الانتقام، وهكذا.

مذهب أهل السنة: إثبات المحبة لله -سبحانه وتعالى-، بدون تأويل، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ويؤيد مذهب أهل السُنة ما ذكره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث: «إن الله إذا أحب عبدًا قال لجبريل: "إني أحب فلانًا فأحبه"»، فهل يطلب الله -سبحانه وتعالى- من جبريل أن يكون عنده إرادة الإنعام بهذا العبد؟ أم يطلب منه أن يكون الحُب في قلبه؟ لا شك أن المطلوب أن يُحبه لا أن يُنعم عليه.

إذًا ذكر هذه النصوص التي تُثبت لله -سبحانه وتعالى- صفة الحُب؛ فالله -جل وعلا- يُحب ويُحَب -سبحانه وتعالى-.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينْ﴾[الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]، وَقَوْلُهُ:﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِين

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١])، كل هذه في إثبات صفة المحبة.

وقريبٌ من صفة المحبة صفة الرضا، الله -سبحانه وتعالى- موصوف بأنه يرضى -جل وعلا-، قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩]، فهو يُحب ويرضى كذلك رضًا يليقُ بجلال وجهه.

قال المؤلف قوله: (قَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[الفاتحة: ١]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الجمعة:٣]، وقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤]).

هذه النصوص مجتمعة للعلم: (﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[الفاتحة: ١])، تدل على صفة واحدة ما هي؟ على صفة الرحمة، وصفة الرحمة ثابتة في النصوص الكثيرة، وأهل السُنة يُثبتون لله -سبحانه وتعالى- صفة الرحمة، كيف وقد ذكرها الله فذكر من أسمائه الرحمن والرحيم، وكتب على نفسه الرحمة؛ فنحن نُثبت لله رحمةً تليقُ به.

وأما الأشاعرة والمعتزلة فينفونها عن الله -سبحانه وتعالى-، أو يؤولونها، كما قلنا في صفة المحبة لماذا تُنفون الرحمة؟ قالوا: لأن معناها الانكسار والضعف والخور والتألم، هذه معاني تكون بالعبد؛ **الله -سبحانه وتعالى- منزهٌ عنها**، فقد سبح نفسه -جل وعلا-: أي نزهها عن النقائص.

الرحمة التي في العبد قد يكون موجبها نقص وضعف، لعل حتى هذا لا يُسلَّم؛ لأن أجمل الرحمة ما تكون من الأقوياء تجاه الضعفاء، فلا يلزم من وجود الرحمة الضعف والانكسار، والذل، والخَوَر، لأن الرحمة التي من مُخرجاتها العفو أجله ما كان مع المقدرة، وإلا فلو رحم من لا يستطيع، أو الضعيف لو رحم آخر لما انتفع المرحوم بهذه الرحمة.

فالرحمة لا تقتضي الخَوَر أو الانكسار؛ لأن الرحمة القائمة به -سبحانه وتعالى-، أو التي لا يتصفُ بها رحمة مُخالفة لما يتصفُ به البشر، أثبتها الله -سبحانه وتعالى- في البسملة، وأثبتها لنفسه في الفاتحة.

(.....)، وعاد عليها في مجموع آيات منها : ({رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا}[غافر: ٧]، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[الأحزاب: ٤٣]؛ فرحمته صفة تليق بجلاله ؛ كتبها على نفسه أي أوجبها تفضلاً ومنّة -جل وعلا- فليس أحد قاهراً أن يوجب على ربنا شيئاً ؛ قال الله تعالى : ({كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[الأنعام: ٥٤]).

بعد أن ذكر هذه النصوص التي تدل على صفة الرحمة ؛ ذكر أيضاً نصوصاً أخرى تدل على صفة **الغضب** ؛ قال تعالى {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} [النساء: ٩٣]. إذن هنا إثبات **صفة الغضب**

وقوله تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} [محمد: ٢٨]إثبات **صفة السخط**

وقوله تعالى :{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥]. (آسفونا) هنا بمعنى أغضبونا ؛ ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الزخرف:٥٥].

وقوله تعالى: {وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} [التوبة: ٤٦]إثبات **صفة الكره** لله تعالى

وقوله: {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف:٣]؛ إثبات **صفة المقت**؛ ما معنى المقت؟ المقت هو أشدُّ الغضب؛ أهل السنة كما أثبتوا لله صفة الرضا؛ لأنه أثبته لنفسه؛ يثبتون له صفات الغضب والسخط والأسف والكره؛ وهي صفات أثبتها نفسه – جل وعلا – ونحن نثبت ما أثبت الله لنفسه

والأسف قد يقع بمعنى الحزن؛ لكن المراد هنا هو شدة الغضب والسخط.

والانتقام هو العقوبة على الإثم؛ فالله ينتقم من أعداءه؛ والله يغضب على أعداءه. فنثبت له سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه من صفات الغضب والمقت والسخط والكره؛ كما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى دون تأويل.

ومرَّ معنا أن المبتدعة لايثبتون لله صفة الغضب وإنما يأوِّلون المعنى إلى (إرادة الانتقام)؛ كما أن الرحمة والمحبة في نظرهم هي إرادة الإنعام

ثم ساق –رحمه الله تعالى – أيضاً نصوص من القرآن ؛ تدل على إثبات صفات المجيء والإتيان لله – سبحانه وتعالى –

قال :{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ} [البقرة: ٢١٠].؛ يعني ان يأتي الله أو تأتي الملائكة ؛ وقوله : {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨]. وقوله تعالى {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢١: ٢٢]. {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً} [الفرقان: ٢٥].

أراد سبحانه وتعالى هنا أن يثبت **صفتي الإتيان والمجيء** لله –سبحانه وتعالى – فنحن نثبت ما أثبته لنفسه ولانخوض مع الخائضين ؛ الذين زعموا تأويل هذه الصفات ؛ أو تعطيل الله عنها لدعاوى باطلة جاءت في أذهانهم ؛ لأنهم قالوا لو أثبتنا لله المجيء سنقول بخلوِّ العرش. يعني ادعاءات باطلة، وتأويلات عقلية لايأتي بها وجه صحيح .

الذي أخبرنا بأنه مستوٍ على العرش؛ هو الذي أخبرنا بأنه يأتي ويجيء –سبحانه وتعالى – فكما أثبت لنفسه الاستواء؛ أثبت لنفسه المجيء؛ **ولاينبغي أن نقول** أنه يستلزم من هذا .وهذه التحريفات تقع من البعض فيما يتعلق في صفة النزول كما سيأتي معنا .

يقولون كيف نثبت لله الاستواء ونثبت له النزول في نفس الوقت في حديث أبي هريرة "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" ؟ قلنا الذي حدثك أنه مستوٍ هو الذي حدثك أنه ينزل ؛ فما دام أن الله هو الذي حدث فتثبت هذا له وهذا له – سبحانه وتعالى- . قالوا: لا؛ يلزم من هذا ان الثلث الأخير يتقلب على الكرة الأرضية ؛ فثلثنا الأخير غير

ثلث مصر الأخير غير ثلث ليبيا الأخير غير ثلث المغرب الأخير غير ثلث بريطانيا الأخير ؛ فبالتالي الثلث يتعدد ؛ فهل يكون الله في هذا الوقت مستوٍ على هرشه وبذات الوقت نازل؟ نقول : لا مجال هنا لإعمال العقل ؛ لأن الذي حدثنا عن استوائه هو الذي حدثنا عن نزوله ؛ ووجب أن نؤمن بهذا وهذا ؛ لانفرق بين هذا النص ولابين هذا النص. وأما ادعاء خلوّ العرش وانتقال الله —سبحانه وتعالى– فهذا يصحُّ في قياسه بالمخلوقين ؛ ولايصحُّ في قياسه بالخالق ؛ ورحم الله إمرءاً انتهى إلى ما سمع .

إذاً النصوص الماضية لإثبات صفتي الإتيان والمجيء؛ ثم ساق بعدها قوله تعالى :{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]. لإثبات صفة الوجه له —سبحانه وتعالى– وهي صفة ذاتية {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]. فيه إثبات **صفة الوجه** . وَقَوْلُهُ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥].لإثبات صفة اليدين لله —سحانه وتعالى–

بالنسبة للوجه ؛ نثبت لله الوجه كما أثبته لنفسه ؛ وسيمر معنا ان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت أن لله وجه «أعوذ بنور وجهك»،إلخ . أما المبتدعة قالوا : لا ؛ الوجه هنا المراد به الثواب او المراد به الجهة ؛ وهذا تأويل لا يقوم به دليل

ثم بعد ذلك أورد المؤلف كلام ربنا —سبحانه وتعالى– في قوله {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥]. يريد هنا إثبات ماذا ؟ يريد إثبات **صفة اليدين** . ومما يدل على إثبات هذه الصفة قوله تعالى : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[المائدة:٦٤].اليد لا تُفسّر بالقدرة ؛ وإلا سنقع بما وقع فيه المؤوّلة ؛ اليد حقيقية : أما القدرة فقد نصّ عليها بالقدرة او الإرادة أو المشيئة

ومما يثبت صفة اليد لله قول الله تعالى حكاية عن اليهود {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[المائدة:٦٤]. الشاهد في قوله { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} هذا كلام الله —سبحانه وتعالى– ؛ والسابق هو كلام اليهود على سبيل الانتقاص. إذاً الله أثبت أن له يدان وهما مبسوطتان .

وسيمر معنا في السنّة أن كلتا يديه يمين ؛ وهذا أيضاً فيه ردٌّ على أهل الباطل؛ كما أنك لاتتصور أن يكون في المخلوق يدان وكلتاهما تكون يمين ؛ فالله الذي أثبت لنفسه أن له يدين أثبت أن كلتاهما يمين .

آمن بما سمعت دون أن تُعمل العقل لما لا سبيل للعقل إليه ؛صفات الله لا سبيل لمعرفتها بطريق العقل وإنما نقف عندها. ومرَّ معنا كثيراً أن باب الصفات توقيفيّ.

وقوله تعالى : {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨]. هنا إثبات **صفة العين** ؛ وهذا جواب سؤال الأخت التي قالت هل لله عين ويد ؟ المؤلف هنا ساق ما يثبت أن لله اليدين والعين {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨]. {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} [القمر: ١٣: ١٤] .{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: ٣٩]. هذه كلها نصوص لإثبات صفة العين لله – سبحانه وتعالى – .

هل خالف بذلك المبتدعة ام اتفقوا معنا في إثبات صفة العين ؟ نحن نثبت لله صفة حقيقية ولايلزم ان تكون هذه الصفة مركبة أو أن تكون جارحة؛ هذا فيما يتعلق بالمخلوق؛ أما الخالق – سبحانه وتعالى – فنثبتها له كما أثبتها لنفسه .

المخالفون قالوا لا نثبت العين وهذه النصوص التي ذكرت فيها العين ؛ إنما المراد بها الرعاية؛ المراد بها الرؤية .

نقول هذا تأويل؛ المراد هنا إثبات ما أثبته الله لنفسه ؛ فكما أثبت لنفسه عيناً نثبتها.

وكما أثبت لنفسه العين ؛ أثبت لنفسه السمع ؛ قال تعالى : {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:١]. فأثبت السمع في الأول {قَدْ سَمِعَ} وأثبته في الآخر {وَاللَّهُ يَسْمَعُ}. وقوله تعالى :{لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء} [آل عمران: ١٨١]. وَقَوْلُهُ: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠] {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦]وقوله {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤]، {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الشعراء:٢١٧: ٢١٩] {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥]. أثبت في هذه النصوص **صفة السمع** ؛ وأيضاً انضم إليها في بعض النصوص صفة **البصر** ؛ فنحن نثبت لله –سبحانه وتعالى – سمعاً يليق به ؛ ونثبت له بصراً يليق به –جلّ وعلا – كما أثبت لنفسه

ثم بعد ذلك أورد نصوصاً لإثبات صفة أخرى ؛ قال : {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣]، وَقَوْلُهُ: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} [النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق:١٥: ١٦]. هذه النصوص تدل على إثبات **صفة المكر والكيد** لله –سبحانه وتعالى- .

وقد يقع يعني باب بادئ الرأي أن هذه الصفات ليست صفات كمال، أو قد يتحرج الإنسان بادئ الرأي أن يصف الله بهذه الصفات.

الله أثبت لنفسه هذه الصفات؛ فينبغي أن تُثبتها له، لكنها كثيرًا ما تأتي مُقيدة بمعنى أن الله يمكرُ بمن مكر به، يكيدُ بمن كاد، وينبغي هُنا أيضًا أن ننبه إلى تنبيه مُهم جدًّا وهو أن هذه الصفات لا يُشتقُ لله منها أسماء؛ فلا يُقالُ ماكر، ولا يُقال كائد؛ بل نتوقف عند النص الذي وردنا من أنه خيرُ الماكرين، وأنه يكيدُ أعدائه، ويكيدُ الذين يكيدون، ويستهزئ بالذين يستهزءون كما سيمُر في صفة الاستهزاء.

ثم بعد ذلك أيضًا أورد قوله تعالى: (**{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}**[الرعد: ١٣]، **وَقَوْلُهُ: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}**[النمل: ٥٠]، **وَقَوْلُهُ: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا}** [الطارق:١٥: ١٦])؛ في قوله: (**{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}**[الرعد: ١٣])، ما المعنى؟ ما معنى (**{شَدِيدُ الْمِحَالِ}**[الرعد: ١٣])؟، أي نعم كلمة (**{الْمِحَالِ}**[الرعد: ١٣]): شديد الُعاقبة، يعني شديد في الأخذ –سبحانه وتعالى– (...) العقوبة، وذهب بعضُ المفسرين إلى أنه شديد الحول: أي شديد القوة؛ وكلاهما يصبُ في معنً واحد، وهذا من كيده –سبحانه وتعالى– بأعدائه ومكره بهم جل وعلا.

- ثم أورد **قَوْلُهُ** تعالى: (**{إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}**[النساء: ١٤٩])، أورد الآية لإثبات صفة العفو، وأيضًا إثبات صفة القُدرة.
- (**{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [النور: ٢٢])، النص يُراد منه إثبات صفة المغفرة.
- (**وَقَوْلُهُ: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**[المنافقون: ٨])، إثبات صفة العزة لله –سبحانه وتعالى–، وما معنى صفة العزة؟ عزيز: يعني غالب، قوي، قاهر، وتأتي أيضًا بمعنى القوة والصلابة؛ ف(عز يُعُزُ): هذه بمعنى الغلبة، و(عز يَعَزُ): بمعنى القوة والصلابة، والعرب تقول: "هذه أرضٌ عزاز"، يعني شديدة، وتأتي بمعنى العلو والامتناع من (عز، يعزُ)، وكل هذه المعاني تليقُ بالله –سبحانه وتعالى–؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– قويٌ، غالبٌ، قادر، عليُّ جل جلاله.

وأورد بعد ذلك المؤلف قول الله تعالى: (**{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}**[الرحمن: ٧٨]، **{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}**[مريم: ٦٥]، **أي** مسامي(...)،**وَقَوْلُهُ: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**[الإخلاص:٤])، أي شبيه ونظير، **{فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}**[البقرة:٢٢]، أي أمثال ونظراء، **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}**[البقرة: ١٦٥]، **وَقَوْلُهُ: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾[الإسراء: ١١١]) لما أورد النصوص الكثيرة بإثبات صفة الوجه واليدين والسمع والبصر؛ الآن أورد أيضًا ما يُدللُ به على نفي الصفات السلبية، ونفي المكافئ والمشابه؛ فأورد قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، أي أمثال ونظراء، إلى أخره.

وأيضًا نفى عن الله –سبحانه وتعالى– الولد والشريك والولي، (الولي): يعني ما يحتاجُ إليه الضعيف لتقويته، والذليل؛ ليستعز به، فالله –سبحانه وتعالى– ليس له وليٌّ من الذُل.

وسبح نفسه –سبحانه وتعالى– أي نزهها –جل جلاله– وأثبت لنفسه الملك والحمد(...)والقدرة على كل شيء، ثم سيمُر معنا وقد انتهى الوقت، سيمُر معنا معنى (قَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١: ٢])، وهذا التباركُ الذي يليقُ به سبحانه وتعالى.

أحببتُ في هذا المجلس أن نمُر على النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام بعد أن أصلنا ما أصلهُ –رَحِمَهُ اللهُ تعالى– في باب الأسماء والصفات، والمرور هُنا –أعيد وأزيد– أقول: المرور هُنا على هذه النصوص كالأمثلة والشواهد القرآنية لما أثبته قبله من التقعيد؛ فكل هذه النصوص إنما هي فقط من باب التمثيل؛ وهو يذكُر في المثال الواحد أكثر من نص، يعني صفة الرحمة مثلًا ذكر ثلاثة أو أربعة نصوص، إثبات اليدين لله تعالى؛ ذكر ثلاثة نصوص، وهكذا.

فهذا ما يُكثر الآيات والنصوص القرآنية، وفي المجمل من ما تتميز به هذه الرسالة على وجازتُها كثرة النصوص القرآنية فيها؛ ليُدلل –رَحِمَهُ اللهُ تعالى– على أن هذه العقيدة مستقاةٌ من الوحي كتابًا وسُنةً، وهذا مما بارك هذه الرسالة على وجازتها، كما بارك كتاب [التوحيد] لمحمد بن عبد الوهاب امتلاء هذا الكتاب بالنصوص والأدلة من القرآن، وهذا منهج سلفيٌّ قديم يعني كتاب [الإيمان] لابن مندة، كتاب (التوحيد) لابن خُزيمة وغيره (...) يعتمدون على النصوص، أما المحدثون هم الذين يعتمدون على الأقيسة، وعلى كلام المتأخرين، وعلى إعمال العقليات في باب الأسماء والصفات.

س: الأخت تسأل هل نحفظ المتن؟

الشيخ: إن استطعت أن تحفظ فقد جمعت نورًا إلى نور، من استطاع أن يحفظ المتن فهو خيرٌ وبركة؛ لأن عامة المتن نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، نسأل الله –سبحانه تعالى– أن يغفر لشيخ الإسلام، وأن يجزيه عنا خير الجزاء.

س: الأخت إيمان تسأل عن معنى سميًا؟

الشيخ: أي مُسامي، كما كانت عائشة تقول: «**ما أحدٌ من أزواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يساميني إلا زينب بنت جحش**»، أي يُماثلوني، أو ينافسُني في هذا، **سميًا**: يعني من يُسامي الله تعالى، من يُشابهه،﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم: ٦٥]،أو من يُنافسه؛ كلا المعنيين صحيح.

اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا هدىً وبصيرة وعلمًا اللهم آمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

تم إلقاؤه يوم السبت ٢ رجب ١٤٤١ هـ الموافق ٢٦\٢\٢٠٢٠

معهد العلوم الشرعية العالمي